

## الفصل الأول

### تمهيد

« المشكلة هي أننا لو أعطينا مائة فكرة جديدة ، منها المتعلق بالالفاظ والأساطير القديمة ، ومنها ما هو متعلق بالصناعة وغير ذلك ، فان هنراً منها لابد أن تنتشر خارج الحدود ، في حين تندثر التسعون الباقية وتعرض للنسيان . فكيف السبيل إلى التقليل من سلطان هذه الظاهرة ؟ »

« جبرائيل تاردى » ، عام ١٩٠٣ .

وصفحات تاريخ العالم مليئة بالقصص المتدافع عن الحروب الدامية ، ذلك القصة الذى يصور تصويراً قوياً الطريقة التى تتغير بها ثقافة الأمم والناس . وبالرغم من ذلك ، فإن عدداً من المعارك الكبرى التى خاضتها البشرية لم يكن سلاحها السيف ، بل الأفكار التى تغلغلت فى حياة الناس ، ثم ظهرت مرة أخرى على صورة تطوير اجتماعى . وإن الانفجارات والهزات التى تحدثها الأفكار الجديدة فى عقول الناس ، لهى من الأمور التى لا يشك إنسان فى وجودها ، كما لا يشك فى آثارها المخربة . وهذا ما نراه فى الصواريخ الذرية التى تستعملها أسلحة الحرب الحديثة .

« دريد » ، عام ١٩٦٠ .

ونتائج التغير التكنولوجى ظاهرة للبيان فى كل مكان . من ذلك ما نراه فى مبادئ الزراعة الأمريكية حيث كان المزارع العادى عام ١٨٢٠ ينتج ما يكفى أربعة أشخاص غيره ، فى حين أنه عام ١٩٤٠ ارتفع هذا العدد إلى اثنى عشر ، وفى عام ١٩٦١ أصبح العدد سبعة وعشرين . ومن الشواهد الأخرى على التغير التكنولوجى العدد المتزايد من الأدوية

الجديدة التي تخرج إلى الأسواق كل عام ، وكذلك الزيادة المطردة في الإنتاج مقدراً بعدد الساعات التي يشتغلها الفرد في اليوم الواحد ، وكذلك انتشار العمليات الآلية في ميادين الصناعة ، وانتشار الأجهزة المنزلية ، وظهور أنواع جديدة منها كل عام . وبالإضافة إلى ذلك ، نرى أن سكان الولايات المتحدة لا يرضيهم أن يقفوا عند حد إجراء شيء من التعديل في ثقافتهم ، إذ أنهم يسعون لإدخال أفكارهم المستحدثة إلى المناطق الأخرى من العالم ، وهي المناطق التي لم تستكمل نموها بعد .

لقد صرف سكان الولايات المتحدة عشرة بلايين دولار على بحوث التنمية عام ١٩٦٠ ، وسوف يزداد هذا الرقم إلى ما يقرب من إحدى وعشرين بليوناً في عشر سنوات . ومع ذلك فإن هذه المبالغ الباهظة التي تصرف على البحث العلمي ، لا تعتبر استثماراً حقيقياً ما لم تنتشر نتائج هذه البحوث في أوسع نطاق ممكن ، وما لم يتم اعتناق الأفكار التي تتمخض عنها . ولما كانت هذه الحقيقة قد أصبحت واضحة تماماً في السنوات الأخيرة ، فإن جهوداً عديدة تبذل الآن للإسراع بنشر نتائج البحوث والعمل على التغلب على آثارها إلى أبعد حد ممكن .

وبالرغم من الموقف المشجع الذي يقفه الأمريكيون عادة تجاه العلوم والتكنولوجيا ، فإنه من الضروري أن تنقضي فترة طويلة - فترة اختبار - قبل أن تنال أية فكرة جديدة قبولاً عاماً لدى الناس ، وهذا أمر لاشك فيه بالرغم من الفوائد الاقتصادية التي تعود على الناس من ورائها . فثلاً وجد أن ثمة فترة زمنية تبلغ أربعين عاماً انقضت فيما بين النجاح الذي صادفه اختراع القرن السفلي في صناعة الفخار وبين انتشار هذا القرن . كذلك تطلب الحال مرور أكثر من أربعة عشر عاماً قبل انتشار بذور الذرة الهجين وإقبال زراع ولاية أيوا عليها . ومن المعروف أن ما يقرب من خمسين عاماً انقضت عقب ظهور أسلوب التربية الحديثة إلى الوجود وقبل

أن يدخل هذا الأسلوب إلى مدارس التعليم العام . على أنه من المعلوم أن المدرسة الأمريكية العادية تعتبر متأخرة بما يقرب من خمسة وعشرين عاماً عن غيرها من المدارس التي تطبق أسلوب التربية الحديثة .

والبحوث الأخيرة التي أجريت على جديد الأفكار وطرق انتشارها تكشف عن وجود العديد من مثل هذه الشغرات الزمنية . فمثلاً المزارع الأمريكي العادى في مقدوره أن ينتج ما يكفي خمسين فرداً ( وليس سبعة وعشرين فرداً ) إذا اتبع الأساليب الحديثة في عمله . والواقع أنه ورد في تقارير إدارتين من إدارات وزارة الزراعة الأمريكية أن الناس يتطورون ويستخدمون التكنولوجيا في الزراعة بطريقة تذكرنا بالحركة البطيئة في قفزات الضفدعة . والفترة الزمنية التي تنقضى بين كل قفزة يمكن أن تقدر بالشهور أو الأعوام ، أ وحتى عشرات الأعوام ، . لهذا السبب نرى أنه بالرغم من استثمار مبالغ باهظة في تطوير الأفكار الجديدة ونشرها بين المعنيين بها وتوصيلها إليهم فإنه لابد من انقضاء وقت طويل قبل أن يتبنى عدد كبير من الناس هذه الأفكار ويفيدون منها .

إن أحد الأهداف الظاهرة أو الباطنة لكثير من الدراسات التي تجرى على انتشار الأفكار الجديدة كان دائماً ينحصر في تحديد الأساليب التي يمكن بمقتضاها التعجيل بهذا الانتشار . على أن تحقيق هذا الهدف هو من الأهمية بمكان كبير لأمريكا الحديثة وعلى وجه التحديد مركزها الدفاعى الخارجى . ومن الواضح أن البحوث وحدها ليست بكافية لحل معظم المشكلات بل إن نتائج هذه البحوث هي التي لابد أن تنتشر وأن تجد من يتبناها قبل أن تتحقق الفائدة منها . والواقع أن الفوائد التي تعود علينا من البحوث التي تجرى للتعرف على حقائق انتشار الأفكار الجديدة نفسها لا يمكن أن تتحدد ما لم يتم نشر النتائج وتعميمها بين الناس . ومن الأسباب الجوهرية

التي دعتنا إلى إصدار هذا الكتاب العمل على دفع الناس إلى تفهم حقائق هذه البحوث .

على أنه لا ينبغي الافتراض بأن انتشار جميع الأفكار الجديدة واعتناق الناس لها هو حتماً من الأمور المرغوب فيها . وما لاشك فيه أن هذا الكتاب سوف يستعرض الدراسات المتعلقة بالأفكار الجديدة التي لا تحظى منا بالرضا أو الأفكار غير الاقتصادية أو الأفكار الضارة بوجه عام لكل من الفرد والمجتمع .

ونحن نقول هنا أيضاً إنه بالرغم من أن انتشار معظم الأفكار الجديدة المناسبة لنا يحتاج إلى فترة زمنية طويلة فإن حتمية انتشار مثل هذه الأفكار أمر لا يقبل الجدل . ومعظم المحاولات الرامية إلى الحيلولة دون الانتشار لم يكتب لها النجاح . ولنا عبرة فيما فعله الصينيون القدماء عندما حاولوا أن يحتكروا استخدام البارود وأن يجعلوه وفقاً عليهم وفي الجهود التي بذلتها الولايات المتحدة للحيلولة دون ذبوع سر القنبلة الذرية . على أنه لا يستبعد أن يتمكن في النهاية العدد الأكبر من الدول الصغيرة في العالم اليوم من الحصول على المعلومات المتعلقة بالأسلحة النووية .

### الاهتمام بالبحوث الخاصة بذبوع الأفكار الجديدة :

يتحدث الدكتور « جو اكرمان » مدير مؤسسة المزارع بشيكاجو عن تجربة توضح الاهتمام المتزايد بذبوع الأفكار الجديدة . فقد دعت مؤسسة المزارع عدداً من علماء علم الاجتماع الربني المهتمين بموضوع انتشار الأفكار الجديدة إلى ندوة خاصة . وكان ذلك عام ١٩٥٥ . وبعد أن أفرغت الهيئة من مناقشاتها وضعت تقريراً يتضمن تلخيصاً للتأثير العامة المستخلصة من الدراسات المختلفة التي أجريت على هذا الموضوع . لقد أحس علماء الاجتماع هؤلاء - في اعتقادهم أنهم هم وحدهم المهتمون بهذا الموضوع -

بأن خمساً وعشرين نسخة فقط من هذا التقرير تعتبر كافية . غير أن مدير المؤسسة استطاع أن يقنعهم في النهاية بالموافقة على طبع خمسة آلاف نسخة من هذا التقرير . وما إن انتهى عام ١٩٦٢ حتى وجدنا أن ثمانين ألف نسخة أخرى قد وزعت في أنحاء العالم ، كما وضعت ترجمات لهذا التقرير باللغات الهولندية والإسبانية وغيرهما من اللغات .

وفي عام ١٩٥٥ قام عالمان من علماء الاجتماع بجامعة أيوا بإلقاء أحاديث عامة لتوضيح الطرق التي تنتشر بمقتضاها الأفكار الجديدة في ميدان الزراعة . وبعد مرور ست سنوات كانا قد تمكنا في أثنائها من إلقاء هذه الأحاديث العامة بما يزيد على مائة وستين مرة أمام عدد كبير من الفئات ذات القدرة على إحداث التغيير الاجتماعي بنقل الجديد من الأفكار كالبائعين المتجولين ومندوبي شركات الإعلانات ورجال الخدمة العامة في المؤسسة الزراعية ومديري المصانع . ولقد ترك مثل هذا العمل أثراً كبيراً في تعريف الناس بالنواحي النظرية وكذلك في نشر نتائج البحوث التي أجريت في مجال ذبوع الأفكار الجديدة .

### البحوث التي أجريت على ذبوع الأفكار الجديدة :

في السنوات الأخيرة ، زاد عدد الدراسات التي أجريت على ذبوع الأفكار المستحدثة ، كما زاد الاهتمام بنتائج هذه الدراسات . فمثلاً نجد أن مايزيد على ١٧٢ بحثاً عن الأفكار الجديدة في عالم التربية والتعليم قد أجريت منذ عام ١٩٣٨ . كذلك حظيت البحوث المتعلقة بالأفكار الجديدة في الزراعة باهتمام كبير إذ أن علماء الاجتماع الريفي قد أجروا مايزيد على ٢٨٦ بحثاً منذ أن بدأت الحملة الأولى التي قادها «رايان» و«جروس» عام ١٩٤٣ لتقصي الحقائق في موضوع اعتناق الزراع لفكرة الذرة الهجين . وبما لاشك فيه أن أمراً كهذا يمثل من نواحي عديدة الأفكار الجديدة في ميدان الزراعة تمثيلاً صادقاً . لقد استطاع «رايان» و«جروس» أن

ينفذا إلى عدد كبير من المناطق ويتناولها بالتحليل الدقيق ، تلك المناطق التي كانت دائماً هدفاً لدراسة الباحثين في طبيعة انتشار الأفكار الجديدة . أما البحوث التي يتناولها هذا الكتاب وعددها ٥٠٦ بحوث فقد تمخضت هي الأخرى عن نتائج مماثلة إلى حد كبير وإن كانت المحاولات التي بذلت للمفاضلة بين النتائج لم تكن كافية . وينبغي الإشارة هنا إلى أنه بالرغم من أن دراسات عديدة قد وضعت فعلاً ، ما زال هناك الكثير الذي لا بد أن يعمل في هذا المجال . أما المجالات التي ما زالت تحتاج إلى دراسات فسوف نشير إليها في أماكن مختلفة من هذا الكتاب .

والأفكار الجديدة التي كانت موضوعاً للدراسات والبحوث المذكورة في هذا الكتاب توضحها الأمثلة التالية :

١ — شيوع المصل الواقي من الجدري بين الأطباء في إنجلترا وفرنسا في القرن الثامن عشر وعلاقة ذلك بأحد الأدوية القائمة على المضادات الحيوية التي يستعملها أطباء ولاية إلينوى لنفس هذا المرض .

٢ — الأسمدة الكيماوية وثنائي أكسيد الأيدروجين المبيد للأعشاب الضارة ، والسيارات ذات الصهاريج المستخدمة في نقل الألبان ، وغير ذلك من الأفكار ذات الصلة بالزراعة وتربية الحيوانات والتي توجد في البيئات الريفية .

٣ — تدريب التلاميذ على قيادة السيارات وبرامج علاج التأخر في القراءة وغيرها من الأفكار الجديدة التي ذاع أمرها في دنيا التربية والتعليم .

٤ — تنظيم النسل بين المهاجرين من بورتوريكو .

٥ — المنسوجات الجديدة المصنوعة من مواد مستحدثة كالنيلون ، والبطاطين الكهربائية ، وغيرها من المخترعات المنزلية التي انتشرت بين ربات البيوت .

٦ - أساليب تربية الأطفال وهى الأساليب الشائعة بين الأمهات الأمريكيات .

٧ - هواية صنع أجهزة الراديو .

٨ - استخدام ماكينات السحب العالى فى صناعة غزل ونسج القطن .

٩ - إقبال الفلاحين فى تايلاند على تربية الأسماك فى حقول الأرز .

وبالرغم من الصفات الخاصة التى تنسم بها كل فكرة من الأفكار المذكورة فإننا نرى تشابهاً أساسياً مشتركاً بين النتائج المستخلصة من الدراسات التى أجريت عليها . وبشكل هذا التشابه العمود الفقرى لهذا الكتاب .

### الهدف الذى يسعى هذا الكتاب الى توضيحه:

وبالرغم من أن الباحثين فى عدد من مجالات البحث المختلفة قد قاموا بدراسة ظاهرة انتشار الأفكار الجديدة فإن العلاقة تكاد تكون مفقودة بين هذه البحوث بعضها ببعض . فمثلاً نجد أن رجال علم الاجتماع الطبي وعلماء التربية والتعليم وعلماء الأثنروبولوجيا ورجال علم الاجتماع الريفى يكاد يجهل كل منهم مايقوم به الآخر من أبحاث فى ميدانه وما توصل إليه من نتائج . وفى كل مجال من مجالات البحث تطورت الأمور إلى الدرجة التى يصبح معها من الميسور الحصول على نتائج أكبر لو تمت الاستعانة بنتائج البحوث التى أجريت فى المجالات الأخرى ، وذلك أفضل بكثير من القيام بمزيد من البحث المعتمد على مزيد من الجهد والمال فى نفس المجال . وفى ميدان الزراعة توجد ملخصات لنتائج البحوث التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة فى نطاق الزراعة وضعها د ليونير جين ، عام ١٩٦٠ . أما فى مجال التربية والتعليم ، فقد وضع هذه الملخصات د روس ، عام ١٩٥٨ . على أنه مامن باحث حاول حتى الآن إبراز المناهج المشتركة التى سارت بمقتضاها كافة البحوث التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة فى تلك المجالات . وهذا هو نفس ماتهذى له الآن

والهدف الأساسى لهذا الكتاب هو تجميع وتقييم النتائج التى تمخضت عنها البحوث والنظريات التى تم وضعها فى هذا المجال . ولو كان لدى القارئ الوقت الكافى لقراءة وهضم تقارير عن عدد من البحوث يزيد على خمسمائة وستة بحوث فهو إذن ليس فى حاجة إلى مثل هذا الكتاب . على أنه ليس من الميسور أبداً الحصول على كثير من المطبوعات المتضمنة تلك البحوث حيث أن بعضاً منها عبارة عن رسائل علمية نفدت طبعاتها ، أو تقارير مكتوبة وموزعة فى أماكن متعددة . وإحدى وظائف هذا الكتاب العمل على تقريب هذه المصادر للقارئ ، كما أنه من المؤمل أن يحول هذا الكتاب مستقبلاً دون تكرار للجهد الذى بذلت فى مجال البحث وازدواجها . أما المجالات التى تحتاج منا إلى أن نقوم فيها ببحوث خاصة فيمكن أن تدلنا عليها الطريقة التى نصطنعها عند التفكير فى وضع نظرية تعبر عن موضوع انتشار الأفكار الجديدة بين الناس .

ومعظم البحوث التى أجريت على هذا الموضوع تمت عن طريق الأداة المحببة لدى علماء الاجتماع ألا وهى المقابلة الشخصية . وبالرغم من نقائص معينة فى هذا الأسلوب ، فمن الميسور القول إن الجانب الأكبر من البحث الذى يجرى على انتشار الأفكار الجديدة يتميز بالرصانة والقوة . ومؤلف هذا الكتاب لم يحاول تقرير نتائج رئيسية مستمدة من البحوث التى يتصدى لها بالدراسة فحسب بل سوف يبين باختصار طريقة الحصول على هذه النتائج ، ومن ثم يستطيع القارئ أن يحكم بنفسه على صدقها . والعديد من النتائج قد نظمت حول سلسلة من التعميمات التى تلخص الشواهد المتاحة على وجود علاقة بين مفهومين أو أكثر . وبالرغم من أن هذه التعميمات تتسم بقدر من الصدق ، فإننا لانستطيع أن ننظر إليها باعتبارها مبادئ عامة حتى نقوم بقسط أوفر من البحث ، وقبل ذلك فهذه التعميمات تتراوح بين حدى الفروض والمبادئ . على أن الأمر

يحتاج إلى مزيد من التعميمات تضاف إلى التعميمات الحالية كلها أصبح من الميسور الحصول على نتائج جديدة للبحوث .

وهذا الكتاب يتضمن أيضاً عدداً كبيراً من الأمثلة الشارحة للقضايا والمواقف . والمثال التالي يبين العوامل المعقدة التي يتضمنها انتشار الأفكار الجديدة وهو يصور فشل إحدى الحملات الصحية لإقناع سكان إحدى المدن في جمهورية « بيرو » بغلى الماء قبل شربه . ومن الجائز أننا نستطيع أن نفيد من تحليل الفشل في ذبوع الأفكار الجديدة ، كما نفيد من دراسة النجاح الذي نحرزه هذه الأفكار في مجال الانتشار ، وإن كان عدد هذا النوع من التحليل الدراسي مازال قليلاً نسبياً .

### فكرة مبريرة لم يكتب لها الذبوع :

غلى الماء قبل شربه في إحدى مدن جمهورية بيرو :

حدث في جمهورية « بيرو » أن دعت الأحوال الصحية إلى اتخاذ بعض الإجراءات الخاصة للمحافظة على الصحة العامة كغلى الماء الملوث قبل شربه . وبعد عامين من العمل الشاق لنشر هذه الفكرة بين سكان « لوس مولينوس » ، وهى بلدة ريفية تضم مائتين من السكان ، استطاعت إحدى المشرفات الصحيات المحليات أن تقنع ، بعد سلسلة من الزيارات للمنزل ، إحدى عشرة سيدة من سيدات البيوت بغلى الماء قبل شربه . لقد عاون « نيليدا » ، المشرفة الاجتماعية فى عملها هذا طبيب ، وكان بدوره يلتقى من حين إلى آخر أحاديث عامة عن غلى الماء قبل شربه . كذلك عاونها عدد من ربات البيوت اللاتى كن يغلين الماء قبل مجى « نيليدا » .

وبالرغم من الجهود الجبارة التى بذلت لتعويد الناس على غلى الماء قبل شربه ، فإننا نتساءل فى عجب : لم لم يكتب لهذه الفكرة الذبوع فى تلك المدينة الصغيرة ؟ ولكى يمكن الإجابة على هذا السؤال لابد أولاً من فهم طبيعة سكان بلدة « لوس مولينوس » ومعرفة الكثير عن ثقافتهم .

## «لوس مولينوس» :

ومعظم سكان بلدة «لوس مولينوس» هم من الفلاحين الذين يعملون في المزارع المحلية عمالاً زراعيين . في هذه البلدة لا ينقل الماء في أنابيب ولكن يحمل مباشرة من النهر ، ومن الآبار بواسطة الآوانى المعدنية والدلاء والقلل والبراميل . والأطفال هم في العادة الذين يتولون حمل الماء من مكان إلى آخر حيث أنه من غير اللائق لذوى السن المتقدمة أو المركز الاجتماعى أو أصحاب العائلات أن يتولوا بأنفسهم نقل الماء . وللماء في هذه المدينة مصادر ثلاثة : الحفر الموسمية التى تستخدم لتجميع المياه وتوجيهها لرى الأراضى ، والعيون ، والآبار العامة . وهذه كلها معرضة في جميع الأوقات للتلوث كما أنه قد ثبت تلوثها في كل مرة فحصت فيها . ومن بين هذه المصادر الثلاثة تعتبر الحفر الموسمية أكثرها استخداماً إذ أنها تكون عادة قريبة من المنازل ويسهل على الأطفال الوصول إليها وجلب الماء منها ، كما أن الناس يفضلون ماءها لأنه يميل للجريان ولا يعتبر راكداً .

وإقامة شبكة لنقل الماء بطريقة صحية في هذه المدينة ليست من الأمور الميسورة ولكن احتمالات انتشار أمراض كالتيفود وغيره من الأمراض التى تنتشر بتأثير تلوث المياه يمكن تقليلها إلى أقل حد ، وذلك بغلى الماء قبل شربه أو استخدامه . وفى خلال العامين اللذين أمضتهما « نيليدا » فى بلدة «لوس مولينوس» زارت جميع المنازل ، ولكنها كرسَتْ جهوداً خاصة للاهتمام بإحدى وعشرين أسرة من أسر المدينة ، فزارت كل أسرة من هذه الأسر المختارة عدداً من المرات يتراوح بين خمس عشرة وخمس وعشرين مرة . إن إحدى عشرة أسرة من الأسر الواحدة والعشرين يقومون الآن بغلى الماء بانتظام قبل استخدامه .

والآن لننظر إلى أفراد هذه الأسر نظرة فاحصة ونتناول بالدراسة  
ربات ثلاث : واحدة تغلى الماء لمجرد مسaire العادات والتقاليد ، وواحدة  
تغليه إرضاء للمشرفة الصحية ، وواحدة رفضت الفكرة تماماً .

### السيرة الأولى :

وهي التي تسير العادات والتقاليد ، وقد شارفت على الأربعين وتشكو  
من جيوب أنفية ويطلق عليها أهل المدينة « السيدة المتمازضة » . إنها تغلى  
قديراً صغيراً من الماء وتستخدمه طوال اليوم . هذه السيدة ليست لديها  
أية فكرة عن الجراثيم ، ولكن الدافع لها على غلى الماء تدعّمه عقدة أوجدتها  
التقاليد المحلية ذات الصلة بالأطعمة « الساخنة » ، و « الباردة » . والمبدأ  
الأساسي لهذا الاعتقاد ينشأ من القول بأن « كافة الأطعمة والسوائل  
والأدوية ومواد أخرى هي بطبيعتها إما ساخنة وإما باردة » ، وهي في ذلك  
لا تخضع لدرجة الحرارة السائدة في الجو الخارجي . وفي حقيقة الأمر  
تستخدم الفروق في مجال البرودة والسخونة كمجموعة من الإشعارات  
للابتعاد عن استعمال الشيء أو الإقبال عليه وبخاصة في أوقات الصحة  
والمرض . والماء المغلى يرتبط في أذهان الناس في بلدة « لوس مولينوس » ،  
بالمريض ، ووفقاً للتقاليد فإن المرضى فقط هم الذين يستخدمون الماء  
المغلى ، أو « الساخن » . وبمجرد أن يعتبر الشخص مريضاً ، يصبح من  
الأمور المستبعدة كثيراً أن يقدم هذا الشخص على أكل لحم الخنزير وهو  
« بارد جداً » ، أو شرب البراندى وهو شراب « ساخن جداً » . والماء  
قبل الغلى هو أيضاً « بارد جداً » . ومن الواجب البعد كلية عن التطرف  
نحو إحدى ناحيتي السخونة والبرودة .

والسكان المحليون يتعلمون من مطلع الطفولة الباكرة كره الماء المغلى ،  
ومعظمهم يستطيعون أن يتحملوه في حالة ما إذا أضيف إليه ما يغير طعمه

فقط كالسكر أو القرفة أو الليمون أو الأعشاب البرية . أما هذه السيدة التي تسير العادات والتقاليد ، فتفضل أن تضيف إلى الماء الساخن قليلاً من القرفة . وهكذا نرى أن فكرة التلوث البكتريولوجي الماء لا يدخل أبداً في نطاق الأفكار المكونة لثقافة هؤلاء الناس . وبمقتضى التقاليد الموروثة يهدف غلى الماء إلى القضاء على صفة البرودة الكامنة ذاتياً في الماء غير المغلى ، وليس القضاء على البكتيريا . إن هذه السيدة من عاداتها أن تشرب الماء المغلى لمجرد مسaire التقاليد ، ولكنها تشكو المرض برغم ذلك .

### السيرة الثانية :

وهذه خضعت لإغراء المشرفة الصحية . لقد جاءت أسرة هذه السيدة إلى «لوس مولينوس» منذ جيل مضى ، ولكنها مازالت حتى الآن متأثرة بأسلوب الحياة في وطنها الأصلي في المرتفعات القريبة من البلدة . وربة هذه الأسرة تشعر برعب كامن من الأمراض التي يعتقد أن بيئة «لوس مولينوس» موبوءة بها . وقد يكون الخوف من المرض من جانب السيدة ربة هذه الأسرة أحد الأسباب التي عاونت المشرفة الصحية «نيليدا» على إغراء هذه السيدة بغلى الماء قبل استخدامه .

و «نيليدا» هي في واقع الأمر صديقة لهذه السيدة ، وليست هي المفتشة اللعينة التي تبدو هكذا في عيون بعض السيدات ، بل إن عملها إنما هو تبصير الأسر المهاجرة من الأقاليم المرتفعة بطبيعة الحياة في المنطقة المنخفضة وتأمينهم ضد الأمراض الخطيرة المنتشرة في هذه المنطقة . هذه السيدة تغلى الماء قبل استعماله . ليس هذا فحسب ، بل إنها أيضاً قد أقامت مرحاضاً ، كما أنها أرسلت ولدها الصغير إلى مركز الرعاية الصحية للكشف عليه .

هذه السيدة مازالت تعتبر غريبة على بيئة «لوس مولينوس» ، والسبب

فى ذلك لغتها الأسبانية الركيكة ، وهى لغة أهل المدينة ، وتسريحة شعرها المنقولة عن سيدات المنطقة الجبلية . وهذه السيدة عاجزة تماماً عن الاندماج السكامل فى مجتمع «لوس مولينوس» . ولما كانت بيئة هذه البلدة بالنسبة لهذه السيدة ليست بالمكان الطبيعى لها وهى لا تشعر نحو البلدة بروح الانتماء الطبيعى ، فإن هذه السيدة لا تأخذ بالمعايير الاجتماعية الشائعة فى البيئة وخاصة فيما يختص بانتشار الأفكار الجديدة . ولما كانت هذه السيدة ليس لديها ماتحشى ضياعه من الناحية الاجتماعية ، فإنها تحس أنها تريج من ناحية الطمأنينة الذاتية عند ماتعطى أذنأ صاغية لنصائح «نيليدا» الودية . ومن الواضح أن غلى الماء قبل استعماله بالنسبة لهذه السيدة لن يحسن من مكاتها الهامشية فى مجتمع «لوس مولينوس» ، كما لن يزيده سوءاً . إنها تحس بعرفان الجليل بالنسبة «لنيليدا» لأنها بصرتها بالطريقة التى تزيل بها عن نفسها شعور الخطر والخوف من الماء الملوث .

### السيرة الثالثة :

وهى التى ترفض النصيحة . وتمثل هذه السيدة الغالبية العظمى من أسر «لوس مولينوس» التى لم تقنعها الحملة الصحية بغلى الماء قبل استخدامه . وهذه السيدة لا تعرف شيئاً عن الجراثيم بالرغم من جهود «نيليدا» لتفهمها كل شئ عنها . إنها تظل تتساءل كيف لا تفرق هذه الجراثيم فى الماء ؟ هل هى من فصيلة الأسماك ؟ إذا كانت الجراثيم من الضالة بحيث لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة . أو حتى الشعور بها ، فكيف يمكن لمثل هذه الكائنات الدقيقة أن تعيش فى الماء ؟ فى العالم ما يكفيه من أخطار حقيقة جديدة بأن نهم بها ونضطرب بسببها كالفقر والجوع ، فلم نضايق أنفسنا بالتفكير فى مخلوقات لا نرى أو نسمع أو تلس أو تشم ؟ إن ولاءات هذه السيدة للمستويات التقليدية والمعايير الموروثة إنما هى فى صراع دائم مع فكرة غلى الماء قبل

استعماله . إن هذه السيدة ، لكونها تنتمى انتماء قوياً لعقيدة البرودة والسخونة ، لتحس إحساساً عميقاً بأن معتلى الصحة هم وحدهم الذين يحتاجون إلى شرب الماء المغلى . ومعظم ربات البيوت ، وبخاصة أولئك اللاتي ينتمين لمستويات اجتماعية بسيطة ، يعارضن فكرة غلى الماء لأنهن لا يستطعن ذلك حتى لو اقتنسن بصدق الفكرة . وهؤلاء النسوة يتعللن بحاجتهن إلى الوقت لكي يقبلن على غلى الماء . والفقيرات من ربات البيوت لا يستطعن عادة تحمل ثمن الوقود اللازم لهذا الأمر وهن في ذلك يختلفن عن سيدات الطبقة الوسطى . هؤلاء النسوة الفقيرات يعملن عادة جنباً إلى جنب مع أزواجهن في الحقول وهذا يحرمهن من الوقت لغلى الماء لأسرهن .

وثمة فرق أيضاً في الكيفية التي تنظر بها الطبقتين الوسطى والدنيا إلى « بنليدا » . إن معظم الأسر الفقيرة تنظر إلى المشرقة الصحية باعتبارها « المفتشة الملعونة » أو « الجاسوسة » بحث بها إلى « لوس مولينوس » لتتصيد الأخطاء ولتضايق ربات البيوت بالضغط عليهن ومطالبتهن بالعناية بنظافة بيوتهن . ولما كانت هذه الفئة الفقيرة من ربات البيوت لا يملكن سوى القليل من وقت الفراغ ، فإن فرص الالتقاءين « بنليدا » للتحديث عن فوائد غلى الماء قبل شربه كانت نادرة .

هذه الفئة محرومة أيضاً من فرص تكوين علاقات اجتماعية مع أناس من بيئات أخرى خارج البيئة التي يعيش فيها وهن ملتزمات لنمط الحياة ومخلصات للقيم الثقافية الشائعة في بلدة « لوس مولينوس » . وبسبب تمسك أفراد هذه الفئة الفقيرة بالتقاليد المحلية فإنهن يملن إلى مقاومة كل ما هو جديد واعتبار كل ما هو مستحدث خطراً داهماً يهدد التقاليد الثابتة .

ما نستنتج مما سبق :

فشلت فشلاً ذريعاً حملة صحية واسعة النطاق قامت بها زائرة صحية في

بلدة صغيرة من بلدان جمهورية «بيرو» تسكنها مائتا أسرة وكانت الحملة تستهدف إغراء السكان حتى يغلوا الماء قبل استعماله . أما أسباب الفشل فيمكن إرجاعها إلى المعتقدات الثقافية لسكان هذه البلدة وبخاصة عاداتهم المتعلقة بالأطعمة الباردة والساخنة وعلاقة ذلك بالأمراض ، فعلى الماء يجعله أقل «برودة» ومن ثم يصبح مناسباً فقط لذوى الصحة العظيمة . أما إذا لم يكن الشخص مريضاً فإن المعايير الثقافية الشائعة تمنعه من شرب الماء المغلى .

والخارجون على تقاليد المجتمع هم وخدام القادرون على تحدى العادات الخاصة بغلى الماء قبل استخدامه . وإن عاملاً هاماً من العوامل التى تؤثر على مدى اعتناق الناس لفكرة جديدة ليكن فى القيم الثقافية الخاصة بأولئك الناس .

هذا المثال من شأنه أيضاً أن يبين أهمية العلاقات الجماعية فى مجالات اعتناق الأفكار الجديدة أو مقاومتها . فالسيدة الثانية ، وهى التى خضعت لإغراء الزائرة الصحية ، كانت من الناحية الاجتماعية غريبة على بيئتها وإن عاشت فيها سنوات عديدة ، فى حين كانت المشرقة الصحية بالنسبة لهذه السيدة تشكل «جماعة إسناد» أكثر مما كانت بيئتها «لوس مولينوس» بالنسبة لها . ونتيجة لذلك اعتنقت السيدة الثانية فكرة غلى الماء . وفى أوساط ربات البيوت الفقيرات ، مثل السيدة الثالثة ، رأينا فى وضوح الشكوك التى أحس بها هؤلاء الناس نحو الزائرات الصحيات . كما لاحظنا أن أفراد هذه الطبقة لا يجدون الوقت أو المال لغلى الماء وأن فهمهم لطبيعة الجراثيم ما زال ناقصاً . إن شأن هذه السيدة الثالثة شأن الغالبية العظمى من ربات البيوت فى «لوس مولينوس» إذ أنها رفضت اعتناق فكرة غلى الماء قبل استخدامه .

## عناصر انتشار الأفكار الجبرية :

سنستخدم التعاريف الخاصة بالمصطلحات التي وردت في هذا القسم من الكتاب في الجزء الباقي منه . على أنه تم حتى الآن تحديد مضمون بعض المفاهيم بطريقة عابرة من خلال التحدث عنها وإن كان ما زالت هناك حاجة إلى تحديد أكثر دقة لمعاني بعض المصطلحات الواردة في هذا النص والتي تهدف إلى الإقلال ما أمكن من الاضطراب المستشري للأفكار الذي أحاق ببعض المفاهيم الرئيسية في هذا الموضوع .

وعندما نتناول بالتحليل موضوع انتشار الأفكار الجديدة فإننا نجد عناصر أربعة رئيسية :

- ١ - الفكرة المستحدثة .
  - ٢ - انتقال الفكرة الجديدة من شخص إلى آخر .
  - ٣ - التركيب الاجتماعي للبيئة .
  - ٤ - الفترة الزمنية الضرورية للانتقال .
- وهذه العناصر الأربعة هي بوجه عام كتلك التي ذكرها د كاتز ، عام ١٩٦١ باعتبارها لا غنى عنها في أي دراسة لانتشار الأفكار وهي :
- ١ - اقتفاء آثار الفكرة الجديدة .
  - ٢ - الفترة الزمنية اللازمة للانتشار .
  - ٣ - وسائل هذا الانتشار .
  - ٤ - التركيب الاجتماعي الغالب على البيئة التي تظهر فيها الفكرة الجديدة .

لقد اعتبر د لازويل ، ذات مرة كافة البحوث التي أجريت على انتشار الأفكار الجديدة مجرد تحريات حول د من الذي قال ؟ ، و د ماذا قال ؟ ، و د بآية طريقة قيل هذا الشيء ؟ ، و د لمن قيل هذا الشيء ؟ ، و د ما هي النتائج ؟ .

## ١ — الفكرة الجديدة :

والفكرة الجديدة ما هي إلا سائحة يتصور صاحبها أنها شيء جديد لا شبيه له ، ولا يهم كثيراً في مجال الملوك البشرى سواء أ كانت الفكرة حقيقة جديدة أم لا عند ما تقاس بمدى الفترة الزمنية التي تنقضى من لحظة ظهورها أو استخدامها ، وإن جدة الفكرة بالنسبة للفرد إنما هي التي تحدد طريقة تصرفه حيالها .

والنظر إلى أية فكرة جديدة باعتبارها مجرد فكرة جديدة من شأنه أن يوسع من نطاق هذا التعريف . والفكرة الجديدة قد تتضمن مثلاً الحركات الاجتماعية ومستحدثات الملابس وبدعها ورقصات التويست وغير ذلك من التقاليع . وعند ما يتطلب الأمر الإتيان بتعريف جامع مانع للأفكار الجديدة يمكن أن تتبع البدعة بكلمة « فنى ، مثلاً أو « تنظيمى ، أو أية كلمة أخرى تفيد في تحديد المعنى فنقول بدعة « فنية » أو بدعة « تنظيمية » . ومعظم الأفكار الجديدة ليست جميعها من البدع الفنية التكنولوجية .

## ٢ — انتقال الفكرة من شخص إلى آخر :

والانتشار هو العملية التي تذاع بواسطتها الفكرة الجديدة ، أو البدعة المستحدثة . وعملية الانتشار تنطوى على خروج فكرة جديدة من مصدرها إلى الذين يستخدمونها أو يعتقدونها .

ولب عملية الانتشار هو التفاعل الإنسانى الذى من خلاله ينقل شخص من الأشخاص فكرة جديدة إلى شخص آخر . بهذه الصورة الرامية إلى توضيح الفكرة بأبسط صورة ممكنة يمكن القول إن عملية الانتشار تتركب من :

(١) فكرة جديدة .

(٢) شخصية أولى تعرف شيئاً عن الفكرة الجديدة .

(٣) شخصية ثانية لم تعرف بعد شيئاً عن الفكرة الجديدة .

والعلاقات الاجتماعية بين الشخصيتين مسئولة إلى حد كبير عن الظروف

التي بمقتضاها تنقل الشخصية الأولى الفكرة الجديدة إلى الشخصية الثانية ،  
وعن نتائج هذا النقل .

### ٣ — التنظيم الاجتماعي السائد :

ونعني بالتنظيم الاجتماعي المجموعة التي يختلف أفرادها من ناحية العمل  
الذي يقومون به ، وإن كانوا يشتركون في اتباع سلوك اجتماعي واحد  
يستهدف حل ما يصادفونه من مشكلات . والأعضاء في تنظيم اجتماعي واحد  
هم مجرد أفراد وإن كانوا يمثلون مجموعات غير عادية ، أو مؤسسات صناعية ،  
أو مدارس . وعند تحليل التنظيم الاجتماعي في أية دراسة خاصة بطبيعة  
انتشار الآراء الجديدة نجد أنه قد يتركب من جميع الفلاحين في إحدى  
المناطق ، والأطباء في بيئة واحدة ، وأفراد قبيلة من القبائل الوطنية . وكل  
فرد من أفراد التنظيم الاجتماعي يمكن أن يتميز عن غيره من الأفراد .  
وجميع الأعضاء في تنظيم اجتماعي واحد يتعاونون على الأقل طالما أن لديهم  
إحدى المشكلات المشتركة بينهم يسعون إلى حلها .

والأنماط الخاصة بتبنى الأفكار الجديدة تعتبر استمراراً لشيء واحد  
موصول الحلقات ، ويتراوح طرفاً هذا الشيء ما بين الاختيار الحر من قبل  
الأفراد أنفسهم والقرارات الجماعية الملزمة :

١ — هناك أفكار جديدة كثيرة يتبناها فرد دون أي اعتبار لرأي  
غيره من الداخلين في التنظيم الاجتماعي الذي ينتمى إليه . ومن البديهيات  
أن الفرد في القرارات التي يتخذها حيال فكرة جديدة قد يكون متأثراً  
بغيره من أفراد التنظيم الاجتماعي الذي يعيش في إطاره ، ولكن قرارات  
اعتناق الفكرة إنما تعود إلى حد كبير إلى الشخص نفسه .

٢ — وعلى مدار هذا الاستمرار الموصول الحلقات ، الذي يتراوح  
طرفاه ما بين الاختيار الحر من قبل الأفراد أنفسهم والقرارات الجماعية  
الملزمة ، يمكن التحقق من نقطة ذات موقع متوسط ، وهذه تمثل نمط الفكرة

الجديدة التى تتطلب قبولاً مسبقاً من قبل الغالبية العظمى من أفراد التنظيم الاجتماعى السائد ، وذلك قبل أن يتخذ الفرد قراراته القاضية باعتماد الفكرة الجديدة . ومن المحتمل أن يرغب الفرد فى اعتناق فكرة معينة ، ولكنه لا يستطيع ذلك ما لم ينضم إليه آخرون فى هذا الاعتناق . والمثل على ذلك هو تبنى القبائل الهندية للنشاط الجماعى المتمثل فى رقصة الشمس . وهناك مثل آخر يتمثل فى إنشاء محطة كهرباء مركزية للفلاحين ، حيث لا بد أن يقبل الآخرون من أفراد البيئة هذه الفكرة قبل أن يستطيع فرد ما اعتناقها . وثمة فائدة قليلة يمكن أن تجنى من إنشاء نخبة عائلية خاص للهرب فيه من الإشعاعات الذرية ما لم يتبين الفكرة العدد الأكبر من أهل الجيرة المحيطة .

٣ — ثمة آراء يتم اعتناقها عن طريق قرارات جماعية رغم الآخرين على قبولها رغم معارضتهم لها ، والمثل على ذلك خلط مياه المدن بمادة الفلورين . وبمجرد أن تتخذ البيئة قرارها يصبح ملزماً لجميع المنتسبين لها . وخلط الماء بالفلورين استحدثه خبراء صحة الأسنان حوالى عام ١٩٥٢ كوسيلة لمنع تسوس الأسنان ، واعتنق أناس كثيرون الفكرة فى الأعوام الأولى لظهورها . ولم يكبد ينتهى عام ١٩٥٢ حتى أخذت المعارضة للفلورين شكلاً منظماً ، وقل تبعاً لذلك عدد المستجيبين للدعوة . وبنهاية عام ١٩٦١ شرب حوالى ثلث الأفراد فقط ممن يستخدمون الشبكات المائية الماء مخلوطاً بالفلورين ، كما أن حوالى ٨٠٪ من الأشخاص الذين سئلوا فى استفتاء محلى عن موقفهم من هذه الفكرة أجابوا بعدم رضائهم عنها . ويدلنا هذا المثال على أن انتشار الأفكار القائم على قرارات جماعية قد يشكل عملية أكثر تعقيداً ، وبخاصة عندما تكون المعارضة للفكرة على شىء من التنظيم مما يمكن أن يكون عليه الحال إزاء الأفكار الجديدة التى تتطلب حرية فردية . وفكرة تبنى البيئات لخلط الماء بالفلورين كان يمكن

أن يدعمها إلى حد كبير لو أمكن الحصول بسهولة على مادة أخرى مضادة للفلورين يستطيع المعارضون له أن يضعوها في المياه التي يستخدمونها وبذلك يزيلون الأثر الناتج عن وضع الفلورين في شبكة المياه الرئيسية في المدينة . مثل هذا الإجراء الفردي من شأنه أن يحول الفكرة من فكرة تتطلب قراراً جماعياً ، إلى أخرى لا تتطلب إلا قراراً فردياً .

والمعايير الخاصة بالتنظيم الاجتماعي ، وبكل من الشخصيتين «أ» و«ب» في التركيب الاجتماعي لهذا النظام ، من شأنها أن تؤثر في عملية انتشار الفكرة الجديدة . وإن أهمية هذا التركيب الاجتماعي في مجال تحليل عملية الانتشار قد سبق أن أشار إليها «كاتز» عام ١٩٦١ مؤكداً إياها بقوله : « يكاد يكون من غير المعقول دراسة عملية الانتشار دون وجود قدر من المعلومات المتعلقة بالتركيب الاجتماعي الذي يعيش في إطاره الأفراد المتوقع اعتناقهم للفكرة الجديدة . ونحن إن فعلنا هذا نكون كمن يريد دراسة الدورة الدموية من غير معلومات كافية عن تركيب الأوردة والشرايين . والفكرة الجديدة يمكن تعقبها وهي تنتشر في تنظيم اجتماعي مائماً كما يتعقب العلماء كشافات الإشعاعات الذرية وهي تمرق خلال جسم الإنسان . والتعريف السائد للمعيار الاجتماعي هو النمط السلوكي الشائع بين أفراد تنظيم اجتماعي معين . والمعايير الاجتماعية في تنظيم اجتماعي قد تكون تقليدية قديمة وهي بذلك تقلل من إمكان اعتناق الأفكار الجديدة . وقد تكون عصرية وهي بذلك تشجع على اتباع الأفكار الجديدة . ومن الأمور البديهية أن الفرد قد يكون عضواً في أكثر من تنظيم اجتماعي واحد ، والمعايير الاجتماعية الخاصة بهذه التنظيمات قد تتراوح ما بين قديمة تقليدية وحديثة عصرية .

وكدليل على أهمية المعايير الخاصة بتنظيم اجتماعي معين ما رآه مؤلف هذا الكتاب ذات مرة أثناء زيارته لجيرتين زراعتين في «هولندا» بعد أن

عن بعضهما خمسة أميال فقط إذ وجد أن المعايير الاجتماعية السائدة فهما تختلف ما بين قديمة تقليدية في إحداها ، وحديثة عصرية في الأخرى . والفلاحون في الجيرة الأولى التقليدية لم يعتنقوا بعد الأفكار الزراعية التي استخدمت بنجاح لفترة تقرب من عشرين عاماً في الجيرة الثانية التي تغلب فيها المعايير العصرية الحديثة .

على أن الأفراد في تنظيم اجتماعي معين لا يلعبون جميعهم أدواراً متكافئة في مجال نشر الآراء الجديدة والتفكير لها . فثمة فرد قد يجبر غيره عن فكرة جديدة في حين أن فرداً آخر قد ينشر الفكرة الجديدة بين عدد كبير من الناس . أى أن شخص « أ » قد ينقل الفكرة الجديدة ليس فقط إلى شخص « ب » بل أيضاً إلى أشخاص « ج » و « د » و « هـ » .

والمشاهون لهذا الشخص في مجتمع من المجتمعات ، وهم الذين يخبرون عدداً كبيراً بالأفكار الجديدة ، يطلق عليهم في العادة قادة الفكر . وقادة الفكر هم أولئك الأفراد الذين يقصدهم غيرهم لطلب النصيحة والمعلومات . وطريقة قياس العلاقات الاجتماعية هي إحدى الطرق التي توضح أشكال الريادة الفكرية السائدة بين الأفراد في تنظيم اجتماعي معين .

وحتى الآن لم نفكر إلا في طريقة انتشار الأفكار الجديدة في تنظيم اجتماعي معين . ولكن من الواضح أن الفكرة الجديدة لا بد أن تدخل التنظيم الاجتماعي من خلال مصدر من المصادر . والفكرة قد تخلق أو تخترع في نطاق التنظيم الاجتماعي السائد ، أو أنها قد تأتي من أحد المصادر الخارجية . فأحد الأفراد قد يكون أكثر انفتاحاً على العالم الخارجى من غيره لأنه أخذ الفكرة الجديدة عن مصدر خارجي عن التنظيم الاجتماعي الذي يعيش في إطاره .

وقادة الفكر هم في معظم الأحوال أعضاء في التنظيم الاجتماعي الذي يمارسون فيه تأثيرهم . وفي بعض الحالات يكون الأفراد المؤثرون في

التنظيم الاجتماعي من المحترفين الذين يمثلون منظمات خارجة عن التنظيم الاجتماعي . والأخصائي الاجتماعي ، والزائرة الصحية ، إنما هما شخصان محترقان يحاولان جهدهما أن يدفعوا بحركة التبنى لفكرة من الأفكار في اتجاه يشعران أنه مرغوب فيه . إنهما يسعيان في العادة إلى العمل على أن يتبنى الآخرون الأفكار الجديدة ، ولكنهما قد يسعيان أيضاً إلى الإقلال من سرعة انتشار الفكرة ، كما قد يعملان على الحيلولة دون اعتناق الناس لأفكار معينة .

#### ٤ — الفترة الزمنية اللازمة للانتقال :

ما الذي يحدث بعد أن يسمع الشخص «ب» عن فكرة جديدة من الشخص «ا» ؟ في حالات معينة قد يقرر الشخص «ب» أن يعتنق الفكرة الجديدة . والاعتناق هو في حد ذاته قرار بالاستمرار في الاستخدام الكامل لفكرة جديدة ، وهذا التعريف يتضمن أن المعتقد للفكرة الجديدة مؤمن بها وموافق عليها .

وعملية التبنى هذه ماهي إلا العملية العقلية التي يمر فيها الفرد منذ سماعه لأول مرة عن الفكرة الجديدة حتى مرحلة الاعتناق التام لها .

وثمة مراحل خمس تمر فيها عملية الاعتناق ، وهذه المراحل هي : الإدراك ، الاهتمام ، التقييم ، المحاولة ، وأخيراً الاعتناق . وعملية الاعتناق تختلف عن عملية الانتشار من ناحية أن الأولى تتعلق باعتناق الفرد لفكرة جديدة ، في حين أن عملية الانتشار تتعلق بذبوع الفكرة الجديدة داخل إطار التركيب الاجتماعي ، أو أنها تتعلق بانتشارها داخل المجتمعات المحدودة .

ونورد فيما يلي مثالا نوضح به معنى الاعتناق في مجال الجديد من الأفكار . هناك فلاح نرمرز إليه بالحرف «ا» ، سمع لأول مرة عن بذور الذرة الهجين من قرارة مجلة زراعية وكان ذلك عام ١٩٣٣ . لم يقتنع بقيمة

هذا النوع من البذور حتى جاء عام ١٩٣٦ عند ما ناقش الفكرة مع أحد جيرانه ، وفي نفس هذا العام اشترى الفلاح مكبلاً من هذه البذور . وحوالى عام ١٩٣٨ زرع هذا الفلاح كل أرضه المخصصة لزراعة الذرة بأنواع مهجنة من هذه البذور . والسؤال هنا ، متى اعتنق هذا الفلاح فكرة الذرة المهجنة ؟

| فترة اعتناق الفكرة                    |                                              |                                                                 |
|---------------------------------------|----------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------|
| مرحلة السماع بالفكرة                  | مرحلة تجريب الفكرة                           | مرحلة اعتناق الفكرة                                             |
| الجديدة قرأها عام ١٩٣٣ في مجلة زراعية | زرع الفلاح قليلاً من البذور المهجنة عام ١٩٣٦ | عندما زرع كل أرضه المخصصة لزراعة الذرة بالبذور المهجنة عام ١٩٣٨ |

شكل رقم ( ١ - أ ) « فترة اعتناق الفكرة من لحظة السماع عنها حتى تنفيذها »

ورفقاً للتعريف المستخدم في هذا الكتاب اعتنق الفلاح الذى رمزنا إليه بحرف دأ ، الفكرة عام ١٩٣٨ عندما قرر وضعها موضع التنفيذ . أما الفترة من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٣٨ إنما هى الفترة الزمنية اللازمة لكي يمر الفلاح خلال عملية الاعتناق من لحظة السماع عنها حتى لحظة اعتناقها .

هذا الفلاح بالذات أصبح فيما بعد معارضاً لفكرة البذور المهجنة وعلى ذلك توقف عام ١٩٤١ عن اعتناقها عندما زرع كل أرضه المخصصة للذرة ببذور بكر غير مهجنة . والتوقف هنا ما هو إلا قرار اتخذته هذا المزارع للإقلاع عن فكرة جديدة سبق أن اعتنقها . والرفض أيضاً فى هذه الحالة إنما هو نوع من الرفض للفكرة الجديدة ، والتوقف قرار بعدم التبني لفكرة جديدة . وفى المثال الحالى ، لو أن الفلاح الذى رمزنا إليه بالحرف دأ ، كان قد قرر عام ١٩٣٨ الإقلاع الكامل عن زراعة أرضه كلها بالبذور المهجنة ، فإننا نعتبره من الراضين للفكرة .

أما لو كان هذا الفلاح قد تبني هذه الفكرة عام ١٩٣٨ حين كان بعض الفلاحين من بيئته قد سبقوه في هذا الشأن ففعلوا ذلك عام ١٩٣٢ فإن هذا الفلاح يعتبر أقل من غيره من أعضاء التنظيم الاجتماعي الذي يعيش فيه انفتاحاً للأفكار الجديدة . والانفتاح للأفكار الجديدة هو الدرجة التي يسبق بها الفرد غيره من أعضاء البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها استباقاً نسبياً في مجال اعتناق الأفكار الجديدة . ومن غير أن نقول عن هذا الفلاح إنه أقل إحساساً بجديد الأفكار من بعض الأفراد الذين يشكلون هيكل التنظيم الاجتماعي الذي يعيشون فيه ، فإنه من الأوفق أن نشير إليه باعتبار أنه يقف في آخر الصف من الرعيل المتقدم . أى أنه ليس متأخراً بل إنه آخر المتقدمين . وهذا التمثيل المختصر يوفر الكلمات ، ويساعد على الفهم الواضح . وفئات المتبنيين للأفكار الجديدة يشكلون قسماً رئيسياً للأفراد داخل تنظيم اجتماعي على أساس الانفتاح لجديد الأفكار ومستحدثها . والفئات الخمس المستقلة المذكورة هنا هي : المبسكرون للأفكار الجديدة ، والمتبنون الأوائل ، والغالبية المتقدمة ، والغالبية المتأخرة ، والمتكثرون في إعتناقها .

إن مقياس القدرة على استنباط جديد الأفكار وكذلك تصنيف الأفراد على أساس استنباطها واعتناقها إنما يؤسسان أصلاً على الوقت الذي يتم فيه اعتناق الفكرة الجديدة .

\*\*\*

### الملخص :

وفي أى تحليل تجريه على ذبوع الأفكار الجديدة نجد عناصر أربعة رئيسية هي :

١ - الفكرة الجديدة .

٢ - انتقالها من فرد إلى آخر .

٣ - للتنظيم الاجتماعى الذى يتم فى إطاره هذا الانتقال .

٤ - وأخيراً القاعدة الزمنية لهذا الانتقال .

والانتشار إنما هو العملية التى تنتقل بواسطتها الفكرة الجديدة . وعملية الانتشار هى خروج الفكرة من مصدرها إلى الذين يستخدمونها فى النهاية ، أو الذين يتبنونها . والتنظيم الاجتماعى ما هو إلا قطاع من السكان المتميزين وظيفياً المصطنعين لملوك جماعى أساسه السعى إلى حل المشكلات . واعتناق الأفكار الجديدة فى حقيقته قرار لمواصلة استخدام هذه الفكرة استخداماً كاملاً . وعملية الاعتناق هى العملية الفعلية التى يمر الإنسان خلالها من لحظة سماعه عنها لأول مرة حتى مرحلة التبنى النهائى لها . والانفتاح لقبول الأفكار الجديدة هو المرحلة التى يعتبر الفرد عندها أكثر استباقاً نسبياً إلى تبني الأفكار الجديدة من غيره الذين ينتمون لتنظيمه الاجتماعى . وفئات المتبنين للأفكار المستحدثة يشكلون قسماً رئيسياً من التنظيم الاجتماعى الذى يعمل الأفراد داخله على أساس من الانفتاح لقبول الجديد من الأفكار .